حول
القصة العراقية الحديثة

— ١ —

تحية وبعد ، فقد اثار بحثك عن « القصة العراقية الحديثة » عاصفة من السخط والرضى ، لأنك اغفلت بعض القصاصين المجيدين حتى انك لم تشر الى اسمائهم ولا اشارة عابرة ، بينما رفعت من شأن غيرهم كثيراً .

ما تقول في المرحوم خالد شوقي الداودي وهو الذي جاء بعد محمود السيد، وما تقول في يوسف متى ... ويوسف يعقوب حداد وكارنيك جورج ومهدي عيسى الصقر وفؤاد ميخائيل وغيرهم؟.. على اي حال ارسل لك مع هذه الكلمة كلمة للاستاذ قاسم الخطاط المحامي في الرد على بحثك ، ودم للمخلص.

عبد القادر رشيد الناصري

— ٢ —

لست اشارك صديقي الشاعر المبدع الاستاذ عبد القادر رشيد الناصري، اذ يلومك على اغفالك الاشارة الى بعض كتاب القصة من العراقيين، في بحثك القيم عن القصة العراقية الحديثة ، بل ان من حقك على كل أديب في العراق ، ان يشيد بفضلك حين تهتم بالعراق وبادب العراق ، هذا الاهتمام الذي يدل على حبك للعراق ، ويدل على انك من اولئك الذين يعتبرون البلاد العربية وطناً واحداً لكل عربي .

حقيقة انك اغفلت البعض من رواد القصة العراقية، القدامى منهم والمحدثين، ولكني لا استطيع ان اكتم عظيم اعجابي باستقصائك الكثير من آثار كتاب القصة ، تلك الآثار التي قد يتعذر على الكثيرين في العراق ، ان يلموا بها .

وفي الوقت الذي انطمست فيه شخصية الاستاذ محمود احمد السيد ، واختفت آثاره ، اذا بقلمك يبعثه بعثاً جديداً ، ويساط الانوار على آثاره . فيعرف الكثيرون في العراق — بفضلك — رائداً من اوائل رواد القصة . ومثل هذا استطيع ان اقول عن الاستاذ انور شاؤول الذي يعتكف في الوقت الحاضر بالمطبعة التي انشأها ، ماقياً بقلم الاديب ، ممسكاً بقلم التاجر .

وحين يخلو بحثك من اسماء بعض رواد القصة العراقية ، لا يستطيع الانسان ان يقول انك اغفلتهم ، لأن الآثار التي ينتجها كتاب العراق وادباؤه ، يقتصر توزيعها عند نشرها على ميدان ضيق لا يكاد يتعدى حدود المدن المهمة في العراق ، دعك من خارج العراق . ويشتد ضيق هذا الميدان كلما رجعنا الى السنين السابقة . وهنا استطيع ان أصف جهودك في هذا البحث بانها جبارة حقاً ، حين تصل الى عام ١٩٢١ وتتحدث عن اول آثار الاستاذ محمود احمد السيد « في سبيل الزواج » .

ولكنني اخذت عليك في بحثك هذا بعض مآخذ ، مما قد يختلف الناس في أمرها ، ويكون لكل امرىء رأيه فيها . فمن رأيي مثلاً ان صديقي نزار سليم ، لا يماشي عبد الملك نوري في براعة حلق الجو النفسي ، وان نزار سليم وشاكر خصباك مثلاً ، لا يمكن ان يقفا في صف واحد مع عبد الرزاق الشيخ علي .

ولن اسوق حججي على هذه الاحكام ، اذ لكل منا ان يكون له رأيه الخاص في اي انتاج ادبي .

غير انني وددت ان اناقشك في تعريف جمعت به عدداً من الآثار التي انتجها عدد من كتاب القصة العراقيين ، دون ان تورد تفصيلاً يقنع القارىء بهذا الرأي الذي انتهيت اليه في امرهم ، كما فعلت بالنسبة للدكتور صلاح الدين الناهي مثلاً .

فقد جاء في آخر الحلقة الثالثة من بحثك هذا قولك :

« وهذه المصادفة هي عماد اقاصيص خليل رشيد في مجموعته (الحياة قصص) —١٩٥٢— ، وهي في الحقيقة روايات ملخصة ترتكز على الحادثة التي تبهر دون ان تؤثر . ومثل ذلك القول في رواية (شيخ القبيلة) —١٩٥٢— من تأليف حمدي علي ، ومجموعة (صرعى) لمحمود الحبيب ، و (نهاية حب) و (همس الايام) و (شجن طائر) و (بقايا ضباب) وكلها من تأليف عبد الله نيازي . »

ولقد حاولت ان اجد ناحية ينفق فيها هؤلاء الكتاب جميعاً ، او صفة واحدة يمكن ان توصف بها آثارهم ، ولو كانت خارجة عن هذا التعريف ، فلم اخرج من محاولتي بشيء .

ولقد تصفحت — بصورة خاصة — آثار عبدالله نيازي ، فوجدت في « همس الايام » ما يمكن ان يقال فيه بانه « روايات ملخصة » غير انني لم اجد في مجموعاته الثلاث الاخرى ما يمكن ان يوصف بمثل هذا .

وقد يكون لقولي هذا ، علاقة برأيي في القصة ، فانا انظر الى القصة على انها كائن حي ، لا تطبيق لما تعارف عليه الناس من مستلزمات القصة الفنية . فقد كانت « ساره » أثراً من آثار العقاد الخالدة ، ولكنها لم تكن قصة ، رغم استيفائها لمستلزمات القصة الفنية .

وقد تكون القصة كل شيء ، إلا ان تكون مجموعة من الخطوات مقيدة بقانون فني ! الفن لا يستقيم مع قيد او قانون .

لقد قرأت عن جهود اولئك العلماء الذين حاولوا ان يصنعوا حجيرة حية في المختبر ، فاستطاعوا ان يجمعوا المواد الكيماوية التي تتركب منها الحجيرة ، واستطاعوا تركيبها ، ثم وقفوا يرقبونها . لقد خلقوا حجيرة كاملة تحتوي من المواد كل ما تحتويه الحجيرة الحية . ولكن كان ينقصها شيء واحد . كانت تنقصها الحياة !

وما من قصاص وضع امامه مستلزمات القصة الفنية وقيودها، وراح يكتب، الا وخرج بحجيرة من حجيرات المختبر .

واذا كان رأيي هذا في القصة صحيحاً ، فانني قد وجدت في آثار عبد الله نيازي قصصاً .

نعم ، لقد وجدت بين آثاره حجيرات مختبرية تنقصها الحياة ، ووجدت بينها قصصاً كانت الحياة فيها باهتة ضعيفة . ولكنني وجدت فيها كذلك ، قصصاً تشرق فيها الحياة اشراقاً .

ان من حقك علي ان ارد على ما تكتبه ، حين لا اجد الحق فيما كتبت، ومن حقي عليك ان تهديني سواء السبيل، ان كنت قد ضللت السبيل فيما رأيت. والحكم اولاً واخيراً ، لهذا الجمهور الكبير من قراء « الآداب » الغراء .

بغداد **قاسم الخطاط**

— ٣ —

لا يسعني الا ان اهنئك من صميم قلبي على بحثك الرائع الممتع عن « القصة العراقية الحديثة » ، والواقع ان جهودك المثمرة هذه سيذكرها لك التاريخ على مر الأجيال ، فان عنايتك بالقصة العراقية واهتمامك بها هذا الاهتمام الذي لا نكاد نجده عند القصاصين العراقيين انفسهم ، يجعلنا ننظر اليك بعين الاكبار والتقدير .

ولاشك ان ثقافتك العميقة ، وتجردك عن الهوى البغيض ، وحبك للبحث النزيه ، وشغفك بالحقيقة المجردة ، وبعدك عن العصبية ، هذه العصبية المقيتة التي ما تنفك تمزق اشلاء الوطن العربي وتنفث السم في الصدور ، اقول كل هذه المؤهلات هي التي جعلتك تساير القصة العراقية منذ ان كانت طفلة تحبو الى ان اصبحت فتاة رشيقة تملأ العين والقلب والنفس والشعور ، بمثل تلك الدقة والعمق والاخلاص والنزاهة التي نغبطك عليها ونود مخلصين ان يجعلها شبابنا الواعي هدفاً يسعى اليه ، ولهذا يا سيدي — جاء بحثك بعيداً عن الهوى منزهاً عن الطعن خالياً من العصبية ، فاعطيت كل ذي حق حقه ، ولم تبخس جهود احد ولم تعط احداً فوق ما يستحق ، انما سلطت اشعة النقد عليهم جميعاً ووضعتهم تحت مجهرك ذي النور القوي فأنحيت من ظهر زيفه وكان يقول «ان الماس يشع مني» وامعنت النظر في النضار السليم فجلوته وابعدت الغبار عنه.

ولكن الا تشعر يا سيدي — انك قد مررت بالقصاصين المحدثين مروراً سريعاً جداً يكاد لا يتسق واولئك الذين جاوزوا مرحلة الشباب ودخلوا في دور الكهولة ؟ لقد امررت بعضهم من تحت مجهرك القوي إمراراً سريعاً خاطفاً يكاد احدهم لا يثبت في موضعه حتى يكتسحه آخر وآخر ، حتى ليخيل الي ان مجهرك قد اصابه شيء من التعب ، فسئم كثرة التنقيب والتمحيص والتدقيق ... فها هوذا نزار سليم يثبت امام المجهر وقتاً لا بأس به في حين ان غيره ممن يفوقونه قوة وتأثيراً وعمقاً لا يكادون يثبتون ، وها هوذا عبد الرزاق الشيخ علي يمسك على عجل ويرمى بعيداً في حين انه اقوى شعوراً واصدق تعبيراً ، واعمق عاطفة ، من زميله نزار ... وها هوذا شاكر خصباك لا يكاد المجهر يتبينه جيداً. وكأن شيئاً من غبار قد وجد طريقه الى عدسته القوية ، فما عاد ينظر الى محمود الحبيب والى عبد الله نيازي وفؤاد التكرلي والروزنامجي ، فاهملهم اهمالاً شنيعاً حتى ان الناظر لا يكاد يتبين لهم ملامح واضحة او سمات تدله عليهم. وإن في « صرعى » لمحمود الحبيب قصصاً لا احسب انها ترتكز على الحادثة التي تبهر دون ان تؤثر وكذلك القول في « شجن طائر » و « بقايا ضباب » لعبد الله نيازي — اهملت ذكر « همس الايام » لاني لم اقرأها — واني لاستعرض قصص «بقايا ضباب» فلا اجد فيها قصة ينطبق عليها هذا الحكم او انها تلخيص لروايات ، واكثرها — كما اعتقد — تصور شعوراً للحظات زمنية معينة وتكاد الحادثة التي تبهر فيها تكون معدومة خصوصاً وان « نهاية حب » قصة طويلة وما زلت اتذكر قصته « قتلت اخي » التي نشرتها مجلة «القلم الجديد» الغراء والتي اعتمد فيها على « المنلوج الداخلي » فوفق كثيراً .

اقول هذا واستميحك عذراً فلست انت ممن ينكر حقوق هؤلاء، ولكني اعتقد ان المجهر قد شعر بشيء من التعب فراح يسرع وكنت اود لو انه منح شيئاً من الراحة قبل استئناف عمله .

هذا ولأن الذين ذكرتهم ما زالوا في دور التكوين ، وان اقدامهم ما زالت قلقة لم تجد مكانها بعد . وان الطريق ما زالت امامهم طويلة ، فضلاً عن انها شاقة ووعرة ، فاذا نحن لم نعتن بهم ونولهم بعض اهتمامنا ونأخذ بايديهم وننعش الامل في قلوبهم ، اقول اذا نحن لم نفعل هذا او بعضه ، الا تجد ان اليأس قد يعشش في قلوبهم؟ وان النقمة قد تصيب بعضهم ؟ فيتخلفون عن الركب ونقتل بذلك اقلاماً نشيطة قد تكتب في يوم من الايام شيئاً جميلا عميقاً رائعاً نستطيع ان نضاهي به الادب الغربي ؟ اظن ذلك .

اكرر لك عذري وارجو صادقاً ان تضعهم تحت مجهرك ولا بد انه قد اخذ بنصيب من الراحة التي كنت اود ان ينالها قبل اتمام البحث .

وتذكر يا — سيدي — ان بحثك هذا الذي تفضلت مشكوراً باعداده سيكون مرجعا لكثير من الكتاب ، واستطيع ان اقول انهم سيعتمدون عليه اعتماداً كليا دون ان يكلفوا انفسهم مشقة الدراسة والتنقيب كما فعلت انت، وقد عودنا كتابنا — كما لا يخفى — اختصار الطريق .

بغداد **عصمت عبد القادر المحامي**

— ٤ —

طالعت في الاعداد الثلاثة المنفرطة من « الآداب » البحث القيم الذي دبجه يراعك الفذ . واحسب انك اغفلت الاستاذ الشاعر ابراهيم حقي محمد الذي عالج القصة في مجموعة اصدرها عام ١٩٣٧ بعنوان « بين الحقيقة والخيال » نفدت ولم يبق منها الا نسخة واحدة في مكتبة المؤلف لا يمكنه الاستغناء عنها ، وسوف ارسلها اليك عندما تقع بين يدي في سانحة اخرى، كما ان له مجموعة اخرى بعنوان « ازهار شائكة » التي اعتبرها الكثيرون طريقة مبتكرة وجريئة في حقل القصة العراقية بمثل هذا المحيط الذي تطوقه التقاليد البالية ، ارسلها اليك علك تجد في هذا الاديب الذي يكاد ينطوي على نفسه ويعتزل الحياة مادة خصبة لاتمام بحثك الممتع .

ولا يفوتني ايضا ان اعرفك على قصاصين عراقيين اخرين هم يوسف حداد وحسين علي وكارنيك جورج وغيرهم .

الاعظمية **عطا رفعت**

— ٥ —

اود ان اسجل اعجابي الكبير وتقديري العظيم لبحثك القيم في « القصة العراقية الحديثة » فقد قدمت لنا مرجعا مهما لدراسة الفن القصصي في العراق ، فاعجبت بطريقة بحثك واسلوبك الشيق الرصين ، إلا اني نزولاً عند رغبتك اود ان الفت نظرك الى انك اغفلت ذكر القاص العراقي « سعيد عبد الاله الشهابي » ولعل ذلك راجع الى عدم توفر مجموعته القصصية بين يديك .

ولقد قرأت مجموعة اقاصيصه بعنوان « مجموعة اقاصيص موضوعية » طبعة ثانية ١٩٣٥ ، وقد قدم له الاستاذ عبد المسيح وزير بقوله :

« طالعت مجموعة اقاصيص سعيد عبد الاله فوجدتها قصصاً واقعية تصور صوراً صغيرة من مناحي حياة افراد الناس ، وديباجته جميلة يبز بها الكثيرين من حملة الاقلام المعروفين ، وقد سلك المؤلف مسلكا حسنا في اقتباس صوره من صفحات الحياة التي نعرفها » .

دار المعلمين العالية ، بغداد **السيد وداد جمال عرب**

— ٦ —

في العدد الرابع من مجلة (الآداب) الزاهرة انتهيت من مطالعة البحث القيم الذي كتبه الدكتور سهيل ادريس عن (القصة العراقية الحديثة) والمراحل التي اجتازتها وروادها من القدامى والمحدثين وتحليل انتاجهم فيها واستقصاء الآثار التي تركتها في الحياة العراقية واثر البيئة العراقية في هؤلاء القصصيين وقصصهم ، متدرجا في تسلسل ممتع لطيف الى تحليل هذه الآثار لهؤلاء القصصيين العراقيين ... ثم ينتهي الدكتور بان : « القصة العراقية الحديثة كافية بالرغم من انها موجزة لان تثبت بان النتاج القصصي في العراق يحتل مركزاً مهما في مجموع الآثار القصصية في الادب العربي الحديث » .

ثم يصف الدكتور هذا الادب القصصي بانه :- « ادب صراع ومقاومة وثورة يستجيب اكثر من اي ادب آخر في البلاد العربية الى الحاجات الحيوية

التي يتطلبها مجتمع في ابان نموه »... ويعتقد الدكتور سهيل ادريس ان القصة العراقية الحديثة : « تقف في طليعة النتاج القصصي في الادب العربي المعاصر وان آثار الجيل الجديد من ادباء الشباب دفعوا بالقصة العراقية الى الصف الاول من الانتاج القصصي في الأدب العربي الحديث ... »

ولست بحاجة الى الاسهاب في تلخيص آراء الدكتور سهيل ادريس في : « القصة العراقية الحديثة » اكثر من هذا ، فان (الآداب) مقروءة اليوم ومنتشرة في الدنيا العربية وان جمهرة المثقفين فيها قد طالعوا بحث الدكتور القيم وكان صداه في العراق ملحوظاً لانه اول بادرة من اديب عربي معاصر يهتم في تحليل لون من الوان الفكر العراقي الذي لم يهيء له الزمن من يظهره بثوبه الحقيقي .

واني كعراقي افخر بما بذله الدكتور سهيل ادريس من وقت وجهد في تهيئة هذا البحث النفيس والمصادر العراقية التي اطلع عليها وطالعها والتحليل الرائع الذي استخلصه منها ، وهذا الحكم الذي اسبغه على القصة العراقية ، مما اثار فينا روح الاعتزاز بادبنا القصصي ... كعراقي افخر بكل هذا... ولكني كمتذوق للادب العربي ولهذا اللون من الادب على الاخص ، ومطلع على النتاج القصصي في البلاد العربية الاخرى اقف حائراً مندهشاً من هذه الاكتشافات الرائعة التي اكتشفها الدكتور ادريس في ادبنا القصصي اذا سمحنا لانفسنا ان ندعي وجود مثل هذا الادب بمعناه الصحيح في العراق ...

اني على يقين ان الدكتور يعتقد في قرارة نفسه انه قد غالى كثيراً في هذا البحث وفي الاحكام التي اطلقها اطلاقاً ... وكان مجاملاً اكثر منه باحثاً ، أسبغ على ادبائنا القصصين من المديح والثناء الشيء الكثير ووضع آثارهم في مواضع لا تطاولها آثار اخرى في البلاد العربية .

لا اريد ان الفت نظر الدكتور الى الآثار القصصية في مصر ولبنان فهو اعرف بها مني واكثر تذوقاً واتصالاً كما انه من رواد القصة الحديثة في لبنان. وله قصص وابحاث في الادب القصصي والخصائص التي يجب توافرها في الاديب القصصي وفي قصصه . لذا رأيت من الغرابة ان يتساهل مثل هذا التساهل في بحثه عن القصة العراقية وما سجله قلمه من انها : (١) في طليعة النتاج القصصي في البلاد العربية (٢) تأتي آثار الجيل الجديد في الصف الاول من الانتاج القصصي العربي (٣) صورت وسجلت الحاجات التي تطلبها المجتمع العراقي (٤) انها ادب صراع ومقاومة وثورة ... بحيث يخرج القارىء من كل هذا بان القصة العراقية استكملت جميع العناصر الفنية وان ادباءنا القصصيين توافرت فيهم كل الخصائص والامكانيات التي يجب توافرها في الاديب القصصي ! ...

ان المؤرخ الادبي تقع على عاتقه مسئولية عظيمة امام الجيل القابل اذا لم يحاذر في احكامه وانساق وراء عواطفه الرحيمة في الحكم على الآثار الادبية بمثل هذا التساهل الذي يهدف الى التشجيع اكثر مما يهدف الى الحقيقة والنقد ... لذا فان الدكتور الفاضل يتحمل مسؤولية ادبية عظيمة امام تاريخ الادب بتقريره مثل هذه الاحكام في القصة العراقية مما لم يقرره قبله اديب عربي معاصر ولم يكتشفه القصصيون العراقيون انفسهم بعد ! ...

ان القصة العراقية لا تزال اضعف الوان الادب في العراق. وهذه حقيقة لا ينكرها حتى الذين يحاولون كتابة القصه من العراقيين ممن وردت اسماؤهم في مقال الدكتور الفاضل ، كما ان اثرها في المجتمع العراقي والحياة العراقية معدوم بالمرة ... وانما هناك محاولات في كتابة القصة نجح فيها اثنان او ثلاثة نجاحاً لا يسمح لنا بالمرة ان نقول ان اثارهم هذه هي في طليعة النتاج القصصي في البلاد العربية ، لأنها لم تستكمل بعد كل الخصائص الفنية التي يجب توافرها في القصة الحديثة. ولست بحاجة الى ضرب الامثلة والتحليل في سبيل تقرير امور بدهية اعتقد ان الدكتور الفاضل سهيل ادريس يؤيدني فيها كل التأييد .

اما انها : « ادب صراع ومقاومة وثورة ... » فهذا — اذا سمح لي الدكتور الفاضل — اغراق في التخيل، وانما يمكن اطلاق مثل هذه الخصائص بحق على الشعر العراقي والشعراء العراقيين ... الشعر الذي سجل جميع انتفاضات العراق وثوراته ، وصور آمال الشعب وامانيه وسجل الحاجات التي تطلبها المجتمع العراقي . وهو لا غيره يأتي في الصف الاول وفي طليعة النتاج الشعري في البلاد العربية .

انا لا اريد هنا ان ابخس حق الذين يحاولون كتابة القصة في العراق فجميعهم اخوان لنا واصدقاء... ولكن الحق والواجب الادبي يفرضان علينا ان نضع لكل شيء ميزانه العادل . لقد كان الدكتور سهيل ادريس رقيقا وعطوفا ومجاملاً في بحثه عن القصة العراقية يهدف الى التشجيع والتوجيه اكثر مما يهدف الى النقد ومجابهتنا بالحقيقة والواقع ، هذه الحقيقة التي نعرفها نحن ولا يمكن ان تغيب عنا لانها مسجلة في صحفنا ومجلاتنا واندية الثقافية والعلمية.

* * *

لا ادري اذا كانت هذه الكلمة البريئة ستثير علي اقلام بعض من اسبغ عليهم الاستاذ الاديب الدكتور سهيل ادريس اسماء ادباء قصصيين ..؟ كما اثارهم علي سابقا المقال الذي نشرته لي مجلة (الاديب) الغراء بعنوان : (القصة في الادب العراقي) (١) لاني لم اقصد بكلمتي هذه الرد على الدكتور الفاضل والانتقاص من قيمة آرائه في ادبائنا القصصيين ، وانما قصدت ان لا يقعد بهم رأي الدكتور فيهم بانهم اصبحوا في طليعة ادباء القصة في العالم العربي عن استكمال اسباب النقص فيهم — وهي كثيرة — وان يثبتوا بجدارة ان آثارهم تأتي في الصف الاول وان قصصهم ادب صراع ومقاومة وثورة وصورة لما يضطرب فيه المجتمع العراقي بطموحه وخيلائه واماله وامانيه ...

بغداد : **مهدي القزاز**

— ٧ —

لم يحاول كتاب القصة العراقية ، معالجة دراستها ، كما حاول الدكتور سهيل ادريس ، حيث حلل لنا مراحل حياتها الثلاث ، من طفولتها الصغيرة الساذجة ، الى فتوتها الطافحة النامية ، الى شبابها الناهض المطلع !! فله منا الاعجاب، ولمحاولته الطيبة شكرنا . كما نرجو ان يتقبل هذه الملاحظات :

١ — جعل ادوار القصة العراقية ، ومنزلة روادها مرتبطة بالنطورات ، والنزعات ، والتيارات ، دون الالتفات الى المراحل الزمنية ، في حين انه يتقيد بنتاج القاص متأثراً بالسنوات التي اخرج فيها مؤلفاته .

كما تأثر بقول الاستاذ عبد القادر البراق بشأن الاستاذ محمود أ — السيد — بأن ادبه كان ادب مقاومة ، ونضال . مع العلم ان الفكرة الثورية ، والاجتماعية ، والسياسية ، لم تكن متبلورة في الناحية القصصية ، بقدر ما هي ظاهرة بالناحية الشعرية عام ١٩٢١ — اما الآثار التي اخرجها رائد القصة العراقية المرحوم الاستاذ السيد ، فهي محاولات ادبية لا ينكر فضلها ، ولا تجحد قيمتها ! ! وكان صاحبها متأثراً بالأدب المصري يومذاك . كتبها دون ان يفكر بالتوجيه السياسي السلبي ...

٢ — صير الاستاذ — انور شاؤل — في المرحلة الاولى . من كتاب القصة العراقية ، والاستاذين — ذو النون ايوب — وجعفر الخليلي ، في

---

(١) راجع مجلة الاديب عدد (١٢) سنة (٣) وفي هذا البحث الذي استغرق عدة صفحات من المجلة اتفاق بيني وبين الدكتور سهيل ادريس في اسماء اكثر اللامعين من القصصين وآثارهم والمراحل التي اجتازتها القصة العراقية واختلاف في الاحكام على نتاجهم القصصي .

المرحله الثانية ، معتمداً على تواريخ صدور آثارهما ، لا على قدم كتاباتها – متناسياً ما كتباه في الصحف العراقية ، القديمة – كا (لمجلة) و (الحكمة) و (الراعي) و (الهاتف) .

وإذا اراد الاستاذ الدليل فليراجع هذه المجلات التي أصدرت اعداداً خاصة عن القصة العراقية ، لم يشر اليها حضرته. بالاضافة الى المنزلة القصصية التي يتمتع بها الاستاذان أيوب ، والخليلي ، بصفتهما واضعي الحجر الاساسي الواضح المتين ، في نهضة القصة العراقية ، وصقلها ، واظهار مواهب الكثيرين ممن ذكرهم الدكتور .

٣ – النماذج التي اوردها الدكتور سهيل لكتاب القصة ، نماذج هزيلة ، لم يكن لها الصورة الحسنة ، التي تعكس لنا شخصية القاص العراقي ، وقوة نتاجه . واني اعيذ الاستاذ ، وذوقه الرفيع ، لاختياره لها .

٤ – سها الدكتور عن الاشارة او التحدث عن بعض كتاب القصة العراقية ، في ظلال الرافدين ، ولم يشر اليهم كالمرحومين ، الاستاذ خلف شوقي الداودي ، والمحامي عبد المحسن القصاب ، والاساتذة توما، وعبدالسلام حلمي ، ومجيد حمد . بينما اضاف اسم الاستاذ (جبرا) في عداد كتابها وهو استاذ منتدب للتدريس في بغداد. وعذره في كل هذا أنه لم يطلع على المجلات، والصحف ، الصادرة في العراق الا قليلاً .

بينما كانت (الهاتف) و (الغري) و (الزهراء) و (البلاد) ، وغيرها تخرج للعالم العربي اعداداً حوليه قصصية رائعة يساهم فيها ليس ابناء البلاد انفسهم، بل تضم نخبة مختارة من خيرة القاصين السوريين، واللبنانين والمصريين...

ولست اقصد ان الكاتب ، او الدارس يجب ان يضم الشوارد والموارد، ولكن عليه ان لا يغفل النواحي الهامة البارزة في دراسته العلمية الأدبية . خاصة اذا كان يحمل طموح واطلاح الاستاذ الكريم .

محسن جمال الدين

– ٨ –

أخي

لقد كان عمداً مني ان اغفلت بحثك عن «القصة العراقية الحديثة» في نقدي للعدد الثالث من « الآداب »، ذلك اني احببت ان اقرأ البحث كله ، بعد اكتمال نشره ، ليكون الرأي فيه على هدى وبينة .

ولما اكتملت حلقات البحث ، رجعت اليه ، فقرأته كاملاً ، غير مجزأ ، وتتبعت رايك في ادباء القصة العراقية الحديثة في مراحلها الثلاث، بشوق ومتعة، لأني عرفت كثيراً من هؤلاء معرفة معاينة ومشافهة ومدارسة ، ولان لي مع كثير من هذه الآثار القصصية التي تناولها بحثك الرصين ، عهداً ماضياً شائقي تذكاره ، ولذني ان اعود اليه اليوم ، وهو في هذا الاطار الموصول من البحث والنقد الموضوعيين .

ولا اخفي عنك ، ان هذه السطور الخمسة التي توجت بها الحلقة الاولى من بحثك ، في العدد الثاني من « الآداب » ، مثيرة الى رأيك بأن القصة العراقية الحديثة تقف في طليعة النتاج القصصي في الادب العربي المعاصر من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الادب – لا اخفي عنك ان هذه السطور القليلة وحدها ، كان بها الكفاية عندي للتفاؤل بأن في بحثك هذا خيراً كثيراً ، وانك تريد ان تقول شيئاً جديداً لم يقله بعد ، احد من الباحثين المحدثين في الادب العربي بأطلاق .

ولا اخفي عنك ، كذلك ، انه كانت في نفسي حسرة ان الادب العربي في العراق الحديث ، مجهول القدر عند الادباء والباحثين في لبنان وسوريا ومصر جميعاً ، على رغم انه اقرب الآداب العربية صلة بالمجتمع العربي الحاضر ، وانه اشدها إحساساً بهذه الحياة المضطربة الملتهبة المتحفزة التي يحياها الشعب العربي في كل اقطاره ، وانه اعمقها اتصالاً بالمصادر الحقيقية الحية التي يصدر عنها كل فن حقيقي حي ، وهي النواحي الانسانية في « مادة » الحياة الانسانية و « واقعها » المتحرك .

كانت في نفسي حسرة ، جراء هذا الجنف عن الادب العراقي يبديه الادباء والباحثون في لبنان وسوريا ومصر ، فلما رأيتك تعنى بـ « القصة العراقية الحديثة » هذه العناية ، ورأيتك تضع في رأس البحث هذه الخلاصة الموجزة لرأيك بالقصة العراقية الحديثة ، شعرت بأنك تفرج عن نفسي كربة لم تؤاتني فرص حياتي الكادحة ان افرجها انا عن نفسي ، قبلك .

من هنا رأيتني انظر الى بحثك جملة – قبل ان اقرأه تفصيلا – نظرة كادت تكون « ذاتية » خالصة ، فلما رجعت اليه بتفصيل ، اخذته بالنظرة « الموضوعية » الخالصة .

والحقيقة انك بمجرد اقدامك على العناية بالقصة العراقية الحديثة ، قد جئت بشيء جديد ، وخير كثير ، فالقصة العراقية كما قلت انت « تقف في طليعة النتاج القصصي في الادب العربي المعاصر من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الادب » ولكنها لم تنل قط من اديب عربي ، ما تستحقه من البحث والنقد .

وليس ريب عندي ، بانك ما استطعت ان تخلص الى هذا الرأي الصحيح، لولا ان توفر لك امران جديران بالتقدير ، اولهما النظر الموضوعي المجرد في هذه الآثار القصصية التي درستها ونقدتها بكثير من الشمول ، وتاليهما اجتهادك في تتبع النتاج القصصي في العراق ، في المراحل الثلاث ، اجتهاداً ظاهر الأثر .

وقد يكون فاتك من ادباء القصة العراقية الحديثة ، في كل مرحلة من هذه المراحل، ناس عالجوا هذا اللون من الادب ، وقد يكون في المرحلة الاولى، بخاصة ، من كان ينبغي ان يتناولهم بحثك ، امثال خلف شوقي الداوودي ، ولكن هذا لا يعيب جوهر البحث ، فقد كان هذا القدر من الاستقصاء الذي اتيح لك ، كافياً للوصول بك الى الرأي الموضوعي الخالص الذي وصلت اليه في امر القصة من الادب العراقي الحديث .

ويهمني ان اعيد كلمة « الموضوعي » في هذا المجال ، لأنها الطابع الأهم الذي يلفت النظر في دراستك هذه ، ولأن « الموضوعية » في النقد والدرس، نادرة عندنا كل الندرة، فكل نقد وكل ودرس يطالع به علينا، إذن ، في هذه الفترة من تاريخنا الادبي ، ناقد موضوعي ، على هذا الوجه الذي طلعت به انت في دراسة القصة العراقية الحديثة ، يجب ان نستقبله بالغبطة والاستبشار ، وان نحله محله من التقدير والاحترام .

ولست اجد حرجاً البتة ، ان اقول لك ان دراستك هذه ، قد جاءتنا بامرين جديدين : بهذه الموضوعية المحمودة في النقد والدرس ، ثم بهذا الفتح الذي فتحته في تعريف هذا اللون من نتاج الادب العراقي الحديث الى الادباء والباحثين العرب في خارج بلاد الرافدين .

وليس يعنيني، بعد هذا، ان تكون قد اصبت او اخطأت، في الحكم على آثار القصاصين العراقيين الذين تناولت آثارهم بشيء من النقد والدرس ، فحسبك انك حاولت الوصول الى « جذور » القصة العراقية الحديثة، في منبتها الواقعي من حياة البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيشها الادباء العراقيون كما يعيشها مواطنوهم جميعاً ، ثم حسبك انك كنت بعيداً عن المؤثرات «الذاتية» في جميع خطوات النقد والدرس في بحثك .

وبعد ، أرجو ان يكون بحثك هذا مقدمة لبحث يكون اكثر شمولاً في نواحي القصة العراقية الحديثة ، فاعل الطريقة المدرسية ، وجو البحث « الأطروحي » اذا سمحت لي بهذا التعبير ، قد تركا بعض الآثار في عناصر دراستك ، ولكنها فتحالك الطريق الى دراسة اكثر تحرراً مما رأينا فيك من تحرر .

حسين مروه

★ ★ ★

— ٩ —

رد صاحب البحث

اشكر لحضرات الكتاب الافاضل ما ساقوه الي من ثناء ارجو ان اكون له اهلاً . ولست على اي حال الا واحداً من طلاب الحقيقة ، وقد اخطيء في ادراكها او اصيب .

ولست ارى فائدة في الرد على جميع الملاحظات والتعليقات ؛ فكثير منها مرتبط بتقدير شخصي غير ممثل . ولهذا فاني اوجز ردودي فيما يلي :

يؤسفني انني لم اقرأ شيئاً للأساتذة شوقي الداوودي ويوسف متي ، وفؤاد ميخائيل ، واغلب ظني انه ليست لهم كتب مطبوعة . اما الاستاذان يوسف يعقوب حداد ومهدي عيسى الصقر ، فقد قرأت لهما قصصاً قليلة جداً لا تمكنني من الحديث عنها ، واعتقد انه ليس لهما كتب مطبوعة ، وانا لم اتحدث في دراستي الا عن مؤلفي الكتب ، وان كنت قد ذكرت في آخر البحث اسماء قليلة لم يؤلف اصحابها ، توسماً بي لمستقبل لامع لهم . واما الاستاذ كارنيك جورج ، فقد قرأت له مؤخراً مجموعة « دموع عذراء » وهي هزيلة المحتوى القصصي .

واقول في الرد على الاستاذ قاسم الخطاط انني لم احاول ان اضع اي قانون للقصة ، وانا انكر ان تكون للقصة قوانين وقواعد . ولعلني اكتب يوماً باسهاب في هذا الموضوع . وانما اعيد القول انني لم اجد في اقاصيص عبد الله نيازي « الحياة » التي يطلبها الكاتب كشرط اساسي . ان التصنع في حبكتها واشخاصها واسلوبها واضح جداً ، واقول هذا بصورة اجمالية طبعاً .

اما اني مررت بالقصاصين المحدثين مراً سريعاً كما يقول الاستاذ عصمت عبد القادر ، فهذا امر لا يخلو من صحة ، وعذري في ذلك انهم محدثون جداً وان انتاجهم لا يزال قليلاً ، وانما حاولت انا ان ارسم بعض اتجاهاته ، وعلى هؤلاء القصاصين انفسهم ان ينجزوه خطوطاً بنتاجهم المقبل .

واقول في الرد على كلمة الاستاذ عطا رفعت اني قرأت مجموعة « ازهار شائكة » من تأليف ابراهيم حقي محمد التي تفضل بارسالها الي ، فرأيت ان فيها بعض اللوحات عن المجتمع العراقي ، ولكن الجانب الفني فيها ضعيف ، وليس فيها الجهد الفني الذي يبعدها عن الانباء الصحفية .

وقد كنت انتظر من الاستاذ وداد جمال عرب ان يتلطف بارسال مجموعة « سعيد عبد الاله الشهابي » لأستطيع ان اقارن رأيه فيها برأيي الذي اكونه من قراءتها .

واما تعليقات الاستاذ محسن جمال الدين ، ففيها التناقض حيناً ، وينقصها المنطق حيناً آخر . فهو يقول مثلاً انني ربطت ادوار القصة العراقية بالتطورات والنزعات والتيارات ، دون الالتفات الى المراحل الزمنية ، ثم يضيف على الفور «في حين انه يتقيد بنتاج القاص متأثراً بالسنوات التي اخرج فيها مؤلفاته» ووجه التناقض هنا واضح . والمغالطة اوضح في قوله ان « الفكرة الثورية لم تكن متبلورة في الناحية القصصية بقدر ما هي ظاهرة بالناحية الشعرية » . فانا لا ادرس الشعر العراقي ولا اقارنه بالقصة ، وكون الادب الشعري ثورياً لا ينفي كون الادب القصصي كذلك . ومثل هذا التشويش في المنطق ظاهر في ملاحظة الكاتب الثانية . اما ان النماذج التي قدمتها لكتاب القصة هي هزيلة ، فقد كان على السيد جمال الدين ان يظهر هزالها ، كما اظهرت انا قوتها ، واذ ذاك يكون لحكمه قيمة . ولكني اعترف بأني اضفت خطأ اسم الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا الى كتاب القصة في العراق ، وهو ليس منهم . ومنشأ الالتباس اني قرأت له في الزميلة « الاديب » قصصاً مرسلة من بغداد . ثم انني لم اقرأ كثيراً من الاعداد القصصية الخاصة التي كانت تصدرها الصحف العراقية . ولكن ما الذي افيده حين اعرف ان هذه الصحف « يساهم فيها ليس ابناء البلاد انفسهم ، بل تضم نخبة مختارة من خيرة القاصين السوريين واللبنانيين والمصريين » اكان يفيدني الاطلاع على هذه الصحف لدراسة القصة العراقية بالذات ؟ فاذا كان الكاتب يعتقد ان هذه « نواح هامة » كان ينبغي الا اغفل عنها في دراستي ، فارجو ان يعفيني من احترام آرائه !

اما الاستاذ مهدي القزاز فيتهمني بانني كنت مجاملاً اكثر مني باحثاً ... وهذا حكم يطلقه دون ان يقدم بين يديه البرهان ، ولست افهم لم اكون مجاملاً ، وانا لا اعرف من كتاب القصة في العراق ، هؤلاء الذين تناولت آثارهم بالدرس ، إلا واحداً عن طريق المراسلة هو الاستاذ شاكر خصباك ، ولا احسبني قد جاملته ، بل هناك من يقول اني قد قسوت عليه ، وهذا ما لا اعتقده . واذن فقد كنت اود لو اشار الاستاذ القزاز الى كاتب جاملته ، على ان يدلل على موضع المجاملة في تقويم الأثر .

واحب ان انوه بأني حين كتبت بحثي عن القصة العراقية الحديثة ، وادليت فيها برأيي ، لم يغرب عن ذهني لحظة انني اضعها في موضعها من النتاج العربي الحديث في ميدان الادب القصصي ، فانا اعتقد انها تقف في الطليعة من هذا الادب القصصي « من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الادب » وان كانت تشكو بعض الضعف من الوجهة الفنية . اقول ذلك وانا مرتاح الضمير ، ولا احس باي اضطراب من انه « لم يقرر اديب عربي معاصر قبلي مثل هذا الامر ، ولم يكتشفه القصصيون العراقيون انفسهم بعد! » ... وهذا يعني في نظري ، انه لم يقم اديب عربي معاصر قبل الآن بدراسة هذا الادب القصصي !

اما القول بان القصة العراقية لا تزال اضعف الوان الادب في العراق ... فليس بوسعي ان اناقشه ما دمت لم ادرس سائر الوان الادب العراقي كما درست القصة . وان كان هذا صحيحاً ، ففيه مزيد من الدلالة على ان الادب العراقي الحديث جدير بكل تقدير في مجموع النتاج العربي المعاصر .

بقي ان اخص الاستاذ حسين مروه بكلمة شكر واعتزاز لما ساقه إلي من ثناء . وقد كنت اود لو انه اسهب القول في المأخذ الذي اخذه علي من « الطريقة المدرسية » وجو البحث « الاطروحي » ؛ فما هي حقاً تلك الآثار المتخلفة منها في دراستي ؟ الا يعتقد الاستاذ مروة ان « الموضوعية » التي وسم بها بحثي ، ربما كانت الاثر الرئيسي «للطريقة المدرسية» و«الجو الاطروحي»؟

سهيل ادريس

مناقشة مقال

بقلم حسين زكريا

نشرت احدى الصحف المحلية مقـــالاً للاستاذ عبد الملك نوري يصور ، ليس كما يوحي عنوانه، حياة ابطاله الادبية باسلوب حيادي رزين ، بل حياتهم الشخصية،ويتناول مقاساتهم الجسمية وخصائصهم الخلقية باسلوب تهكمي مغرض .

يبتديء الاستاذ نوري بالاستاذ ذوالنون ايوب القصاص العراقي المعروف؛ ويصف في المقدمة احاسيسه الادبية زمن التلمذة الى ان يقول :

«ذلك العهد ارتسم في افقنا المائج عملاق كبير تتوهج بضع شعيرات حمراء على رأسه الاصلع. عملاق وسع قلبه الطيب السمح ما كنا نتوق الى معرفته من واقعنا المرير ... الخ » ثم يضيف قائلاً : فكنا نردد في سرنا اسمه الشهير ... ذنون أيوب ... ذنون أيوب » ثم يعرج على ذكر كيفية تكون المفاهيم الفنية لديه بمرور الزمن ، وكيف اصبح اطلاعه واسعاً فيقول « فنرى في الفن القصصي تعبيراً عميقاً عن الحياة لا مجرد عقدة او حبكة او فذلكة »ثم يخرج الينا بعد تبلور هذه المفاهيم لديه بميزتين رئيسيتين للآثار الفنية في العالم وهما: انسانية الموضوع وعمقه من جهـــة ، والبساطة في الاداء من جهة اخرى فيتدارس هو وزملاؤه هذه الاثار العالمية ، ويذهب هو بعد ذلك ليبحث عن « ذلك العملاق الكبير ذي القلب الطيب السمح الذي تأرجـــح يوماً في افقه المائج » فلا يجد له ظلا . فيتساءل هنا : « هل تغير ؟ ... هل تغيرنا ؟ » ثم يخلص الى انـــه هو الذي قد تغير ، ولم يعد « غراً طائشاً هائماً في متاهات الحياة » كما يقول ؛ اما ذو النون فـــلم يتغير ! وهاك ما يقول ... « ذنون ايوب هو نفسه — ويا للأسف منذ بـــدأ يكتب حتى الآن ... يكتب مثلما يكتب الناشئون في الصحف المحلية دون اي طابـع شخصي ... هو نفسه فاقد الحس الفني ، يؤلف اقاصيصه في صيغة مقالات حتى ليمكن ان يسمى نتاجه الادبي مجموعة (مقالات قصصية) واذا اردنا الدغم والايجاز قلنا (مقاصات) انتهى قول الاستاذ نوري .

ثم ينتهي بقوله « ولقد تجنى الدكتور سهيل ادريس كثيراً على الروائيين العرب وخاصة على الفنان النابغ الاستاذ نجيب محفوظ حين جعل هذه المقاصة الاخيرة — ويعني رواية « الارض واليد والماء » — تقف على صعيد اروع الروايات العربية الحديثة . ويبدو ان الحس الفني ينقص الدكتور سهيل ايضاً اذ يكفي ان يكتب المرء قصة سطحية تعالج ناحية اجتماعية ، حتى يعتبرهـــا الدكتور من اروع الاثار الادبية رغم معايبها الفنية الظاهرة لكل ذي ثقافة فنية وبصيرة انتقادية واعية » انتهى قوله .

وقبل الدخول في مناقشة الاستاذ نوري اود ان اعلن باني سأكتفي ببطل واحد من ابطال الاستاذ نوري وهو ذو النون لسببين : اولهما : ان المجال هنا لا يسع للابطال الآخرين ويربو عددهم على الستة . وثانيهما : ان اطلاعي على انتاج ذو النون اوسع بكثير بالنسبة الى الآخرين ، حتى ليمكنني القول بان انتاجه القديم كان واحداً من اهم المشاعل التي انارت لي الطريق نحو التحرر الفكري الصحيح .

ارى ان من اهم دعائم الادب الصحيح ، طيبة القلب وسماحته ، وصفاء النفس وبساطتها، لأن توافر هذه الفضائل في الاديب ، يجره غالباً الى الميادين الانسانية ، والمجالات الاجتماعية ليغرف منها مادة انتاجه ، ويستوحي عنهـــا عناصر تفكيره . فتلك الفضائل تخلق فضائل اخرى ، منها محبة المجموع وتلقي احاسيسه وامانيه ، والتألم لآلامه وبؤسه ، ومشاركته فيما يصبو اليه من خير وسعادة . وقد انعكست هذه الفضائل في معظم انتاج ايوب ، ان لم يكن جميعه بشكل طبيعي ، لا يشوبه اي تكلف او تصنع ، فهو اذن احد الادباء الاجتماعيين على نمط حديث. وقلبه الطيب السمح — كما يقول الاستاذ نوري — قد سار في وجهته السليمة الصحيحة. وهنا يبرز التناقض الذي وقع فيه الاستاذ نوري.

ثم ننتقل الى الملاحظة الثانية وهي انكار الاستاذ نوري لأنسانية الموضوع وعمقه من جهة ، والبساطة في الاداء، عند ذو النون . ولنستشهد اولاً بعبارة قرأتهـــا في احدى مقالات الاستاذ عبد المجيد لطفي اخيراً وهذا هو نصها : « ولا اعد نفسي في هذه الكلمة مدافعاً عن القصة العراقية الناشئة الا من ناحية واحدة وهي « الخطأ في القياس » ذلك ان من ينقد القصة العراقية ويراها متأخرة، يقيسها بميزان ما قرأ من احسن القصص المعربة عن اللغات الاوربية... ومن عادة المترجمين ان ينقلوا لمشاهير ادباء القصة كما انهم يختارون خير مـــا لهؤلاء الكتاب الفطاحل من قصص فيكون ما يجده القارىء في العربية احسن ما كتب كتاب القصة في الغرب ... وامام هذه الخلاصة المختارة من القصص يضعون القصة العراقية وهم بذلك لا يختلفون في عملهم عن وضع آنية خزفية تصنع حالياً في ظروف قاسية مع مصنوعات بلورية هي حصيلة سلسلة من التجارب والمواهب والصقـــل واختبارات الأجيال ! وتكون نتيجة تلك الاحكام — مغلوطة — لانها بنيت على مقياس مغلوط » — انتهت عبارة الاستاذ لطفي .

فذو النون ايوب يعد من رواد القصة العراقية — التي ما زالت في شبابها بالنسبة الى القصة العالمية — ومحاولة طرح ايوب او غيره من كتاب القصة في العراق او في البلاد العربية ، على مشرحة واحدة مع اعاظم القصصيين العالميين، هي في الحقيقة محاولة ينقصها العدل والانصاف والنضوج ، اذ ينبغي ، حـــين يقاس اديب ما ، ان يقاس بالنسبة الى زملائـــه الذين يعيشون معه في المجتمع نفسه او ، على الاكثر ، مع اولئك الذين يعيشون في مجتمعات تتشابه كثيراً في درجة تطورها الأدبي ، كالبلاد العربية ، كذلك ملاحظة قياس ذلك الأديب بالنسبة الى المرحلة التي قطعها الأدب بصورة عامة في مجتمعه نفسه . والدكتور سهيل في بحثه عن القصة العراقية ، لم يقارنها بالقصة العالمية عندما قال « انها تقف في طليعة القصة العربية من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية فيها... » بل كانت المقارنة بين البلاد العربية — كما هو واضح في العبارة الآنفة الذكر.

فانتاج ذو النون في الحقيقـــة لا يخلو من انسانية ... وانسانية عميقة اذا قورن بالأنتاج العراقي ، بل والعربي ، ولا أخال معلقاً على انتاجه ودارساً له ينكر ذلك ، كما لا يستطيـــع ايضاً نكران انسانية الاستاذ نوري وعمقه في قسم من انتاجه الادبي. وقد يوجد في انتاج ذو النون الغث والهزيل،ولكن ليس معنى هـــذا ان جميع انتاجه من هذا النوع ، ولا ادري ما اذا كان الاستاذ نوري يعتقـــد انه يشترط لبلوغ الدرجة الممتازة في عالم الأدب ان يكون جميع انتاج المرء في مستوى عال ومن طراز رائع ؟ او انه يعتقد بأن عباقرة الأدب في التاريخ لم يصلوا الى ما وصلوا اليه ، الا لأن انتاجهم كان ، من ألفه الى يائه ، من نوع واحد ، النوع الجيد الممتاز ؟

اما البساطة في الاداء التي ينكرها نوري على ذو النون فلا اعتقد انه موفق في تكوين هذا الانكار . فاذا كانت البساطة في الاداء تعني البلاغة في التعبير مع سلاسته وايراد المعاني الواسعة في جمل قصيرة واظهار الفكرة باسلوب خال من التعقيد ، اقول اذا كانت البساطة تعني هذا فما اظن ذو النون بمفتقر الى الميزة هذه ، ومن اراد ان يتحقق فليقرأ مجموعاته وعلى الاخص روايتيه « الدكتور ابراهيم » و « الارض واليد والماء » .

والملاحظة الثالثة والأخيرة هي فقدان الحس الفني عند ذو النون كما يزعمه الأستاذ نوري . اي ان انتاجه يعوزه القالب الفني المصقول . ولا اعـــلم

أيستطيع « نوري » ان يأتينا بقاعدة ثابتة تميز الاسلوب الفني من غيره ؟ او انه يريد منا ان نطفر بادبنا – وهو لم يزل حديث العهد بالحياة – طفرة واسعة او ان نطوره بين عشية وضحاها لنصل الى المستوى العالمي ؟ !

ان مسألة القابلية الفنية – كما ارى – مسأله نسبية ، تختلف باختلاف المجتمعات ودرجة تطور الناحية الفكرية فيها . فمقياس الفن في اي بقعة من بقاع العالم يقوم على اساس الذوق العام ، او بعبارة ادق الاستجابة الجماهيرية ، والذوق العام مع الفن في تفاعل وتأثر مستمرين ، وانهما – معاً – يتطوران بتطور نظام الحياة ، وما يتفرع عن ذلك من تطور في الناحية الاجتماعية والثقافية والتربوية . فالفنون في العراق – والادب احدها – لا يمكن ان تسير وحدها ، شاردة عن التطور العام ، كما لا يمكن ان يقام حكم ديمقراطي صحيح في ظل نظام اقطاعي بال سواء بسواء . وعلى اساس ما تقدم نستطيع ان نفسر رغبة الجماهير الشرقية – خصوصا العربية منها – عن الموسيقى الغربية ، ذلك ان ذوقها العام لم يصل الى المستوى الذي وصل اليه في الغرب ، ولا عجب في ذلك ، في هذا الوضع الشاذ !

فنسبة الاستجابة الجماهيرية لانتاج ذو النون ايوب اعلى من نسبتها لانتاج الآخرين من الزملاء . وهذا يكفي لتفسير وجود القابلية الفنية لديه ، ليس بالقياس الى الجمهور العراقي فحسب بل بالقياس الى الانتاج العالمي ، وذلك بشهادة بعض كبار المستشرقين ، منهم المرحوم « كراجكوفسكي » المستشرق الروسي ، والمستر « جب » المستشرق الانكليزي ، والمسيو « بلا شير » المستشرق الفرنسي ، الذي ابدى اعجابه الشديد برواية « الارض واليد والماء » كنتاج فني اجتماعي رائع .

ونود قبل ختم هذه الكلمة ان نسال الاستاذ « نوري » ما اذا كان يعتقد بنظرية « الفن للفن » ، وما اذا كان مدفوعاً بها في مهاجمته ذو النون ؟ نرجو ان لا يخيب رجاءنا !

بقيت لنا ملاحظة مستقلة عما تقدم . هي حول الدكتور سهيل ادريس ، فقد ذكر « نوري » في مقاله ذاك ، ان الدكتور ادريس قد ارتكب جناية بحق الروائيين العرب وعلى الاخص الاستاذ « نجيب محفوظ » القصصي المصري المعروف ، حينما جعل رواية « الارض واليد والماء » تقف على صعيد اروع الروايات العربية ... الخ . ان الدكتور فيما يبدو ، من بحثه في القصة العراقية ، قد كون آراءه فيها نتيجة دراسة عميقة جدية ، وانه لم يكن بذلك ، بصدد المقارنة بين القصصيين العراقيين والقصصيين العرب الآخرين ، كما لم يثر في بحثه ذاك اوجه المفاضلة بين ذو النون و محفوظ . فليس معنى اعلان اعجابه بهذه الرواية او غيرها ، انه قد ظلم محفوظ وغبنه وبخس انتاجه . ولا ادري لماذا عين « نوري » « محفوظ » بالذات دون غيره من الروائيين العرب الممتازين وهو يعلم انهم ليسوا بالقليلين !

ان تحامله على الدكتور ادريس ليس له ما يبرره بحال من الاحوال ، اللهم الا في ناحية واحدة ، وهي خيبة امله فيما كان يرجو من الدكتور ، ولعل ما كان يرجو ، هو اعتراف الدكتور بزعامته للقصة العراقية ! والا فبماذا نعلل تأجيله لنشر ارائه في انتاج « ذو النون » هذه السنوات واختيار هذا الوقت بالذات ، بعد بضعة ايام من وصول العدد الرابع من مجلة « الآداب » الغراء !!

اننا – في الحقيقة – لنرأ بالاستاذ نوري ان يسلك في نقده للآخرين هذا السلوك الشخصي ، ونأسف ان يتهرب من الواجب الاجتماعي في هذا الظرف العصيب . ونحن اذ نهيب به ان يتجه في ادبه اتجاهاً « التزامياً » نرجو من الاستاذ ذو النون ان يستمر في طريقه المعهود ، طريق الأدب الحي ، غير عابىء « بالقال والقيل » ولا ملتفت الى ما يرومون ويهدفون !

بغداد : **حسين زكريا**

صراع ...

لمّا تلُحْ دربُ الدجى العائره
والفجرُ ؟ أين الفجرُ ؟ لن ننظره

ولم تزل تجترُّ أوهامُنا
في ليلنا ذكرى الهوى العاطره

وإن أفقنا – وصراخُ الحجا
يضجُّ بالقهقهة الساخره

ثرنا وصحنا : ما لنا ؟.. دميةٌ
لَهَتْ بها طفولة شاعره

ثم انتهينا ... وامّحى ظلُّها
وتنجلي .. بعدُ .. لنا سافره ؟!

وتبرق العينانِ في نظرةٍ
عابثةٍ بالحكمة الثائره

ويُنكأ الجرحُ .. فنرنو له
والشك يدمي المقلةَ الساهره

أما لهذا القلب من خفقةٍ ..؟
وهل وعتْنا عنده خاطره ؟

أم أنه لاهٍ بأجواءِ مَنْ
ارضى ظما رغبته الفاجره ؟

بل ربما أعمته دنيا .. بما
تجيشُ أطياف الهوى .. كافره؟

★

غداً إذا عضت سنون الأسى
قلبي .. وملّ الصحبة الفاتره

سها على عهدِ صحابٍ مضوا
وأنتَ أبهى صور الذاكره !

بغداد **يوسف نمر ذياب**